صدى الحرية

٭ أسبوعية ٭ ثورية ٭ اجتماعية ٭
٭ توعوية ٭ منوعة ٭

للتواصل وإرسال المشاركات :
Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 99 | الجمعة 3 / تشرين / 2015

بصرى الشام

حدّ جر

مجر نصيب

كيف أعيش...؟!

تطلعاتنا وآمالنا بالحياة اختلفت وربما اختلت تحت ضغوطات الواقع اليومي الذي نعيشه، وتعيشه الأسرة السورية. الأبعاد العسكرية والسياسية للثورة لم تعد مثار حديث الناس في بيوتهم ومحلاتهم ولقاءاتهم كما جرت العادة قبل سنوات، بل أمسى الشغل الشاغل للعامة سؤالٌ واحد: " كيف تعيش؟"، أو بمعنى آخر، كيف استطعت التأقلم مع الظروف المحيطة، وحول إمكانية تأمين مستلزمات يومك؟

تختلف مشاكل الأسرة السورية في الريف، عنها في المدينة، وفي الأرياف الدمشقية على العموم، تبعاً لظروف متعددة منها ما يرتبط بالعوامل المالية/الاقتصادية، وصولاً إلى تعدد أفراد الأسرة الواحدة، ووجود المعيل إلى غير ذلك. بالمقابل، تختلف أساليب التعامل مع الواقع الجديد، فأحوال الناس انقلبت رأساً على عقب، بعد فقد الكثيرين مصادر رزقهم. عملياً، استطاع النظام السوري خلال السنوات الماضية فرض قوته وتهديد استمرارية الثورة مستخدماً الجانب الحياتي اليومي للناس، عبر ضرب المصالح الاقتصادية وبناها التحية ومن خلال تدمير الكثير من المصانع والمعامل، وإحراق مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، ما يعني حصول عوز وتفشي البطالة والفقر بين صفوف الناس والثوار على حدٍ سواء.تقطيع أوصال البلاد لم يسهم بوأد الثورة سريعاً، لكنه أرخى بظلاله عليها، لتكتسي الأفكار بالثوب المناطقي، الغير منسجم مع المحيط به، مع فقد القدرة أو الرغبة في التواصل والعمل الجماعي المشترك.

بداية الثورة لم يكن من المبرر الانسحاب من البلاد، في الآونة الأخيرة، الهروب أو الانسحاب لم يكن حكراً على المؤيدين، فالضائقة عمت الجميع دون استثناء. وعلى سبيل المثال: وجود أسرة نازحة في المدينة مكونة من ٣ أولاد والزوجين، إضافةً لأبني وزوجة شقيق الزوجة، يصبح العدد ٨ أشخاص، والمعيل الوحيد هو الأجر الوحيد للزوجين، ماذا لو تهيأت لهم فرصةٌ للسفر خارج البلاد؟ من خلال ما نرى من أحوال الثورة تتكشف لنا حقائق في أن خاصية الأشخاص والمناطق من حيث كونها ساخنة أم لا، تلعب الدور الكبير في التطلعات المستقبلية والرغبة في البقاء، أو ضده. هي حرب إرادات في النهاية بين طرفين بغض النظر عن تكافؤهما، فهنا الحديث عن "العوام"، والمنطق يقول أن الغلبة اليوم ليست في صف أحد، بل هو التوازن العسكري بالتالي زيادة المعاناة. قد يصبح ذلك مبرراً إلى اللجوء لوسائل ملتوية في حال لم تتهيأ لهم ظروف الخروج وحتى العمل لأسباب متعددة مادية أو أمنية، وهذا يعني بقاءهم في دائرة الحصار والضائقة، والمانع الوحيد لكبح جماح أي اختلال في قيم المجتمع وقتئذٍ ليس الثورة، أو قوة الدولة، إنه الضمير أمام إرادة العيش والرغبة بها بالطرق الملتوية، ولعل من الضروري اليوم الحديث عن سبل الخروج بحلول لأزمة المعيشة والغلاء، ومن منظور مؤسسات المجتمع المدني المغيبة. ولا يمكن تفعيل مثل هذه المؤسسات عبر الحديث عنها وعن أهميتها، بل هي ضرورة في كل منطقة من الريف الدمشقي، وقدسيا واحدةٌ من هذا النسيج الذي نتحدث عنه، وللأهالي دورهم في تهيئة هذه الظروف.

السّمسار الخفيّ

هذا شرح مفصّلٌ وصل إلينا لطريقة بيع دمشق لإيران، ولْيَعْلَمْ الجميع أنَّ للحقِّ عيوناً ترقبُ كلَّ خائن، وكشفُ الحساب بإذن الله قادم:

منذ مدَّة (يعرف ذلك الجميع)

كان نظام الأسد قد أرسل رجله السابق عبد الله الدردري قبل شهر ونصف إلى إيران وكلّفه أن يسعى لدى إيران للحصول على قرض بقيمة ست مليارات دولار، إلا أن الأخير عاد بمليار دولار فقط مع رسالة مفادها أن إيران لم يعد بوسعها تمويل نظام الأسد بعد أن بلغت ديونها عليه أكثر من عشرين مليار دولار، وأنها لن تقدم أموالاً أخرى إلا بشرط، والشرط الذي طلبته إيران هو مساعدتها في تملُّك عقارات في دمشق وأراضٍ حولها، ولاسيما في دمشق القديمة، وأن إيران مستعدة لتسديد ثمنها مباشرةً، مع الاستمرار في تمويل النظام بالديون إضافة إلى ذلك.

بعد ذلك بمدّة (يعرف ذلك الكثير)

تكشف صحيفة (النهار) اللبنانية أن نظام الأسد قام بتمليك إيران منطقة السيدة زينب بالكامل، مع آلاف الهكتارات حول دمشق، إضافة إلى العديد من الأصول العقارية داخل دمشق، وباتت إيران تملك كثيرا من الفنادق داخل دمشق، وفي عدد من المحافظات السورية الأخرى، إضافة لعمليات الاستحواذ القسري التي تقوم بها قوات نظام الأسد لأراض وعقارات كاملة في دمشق، ويجري بيعها لإيران وقبض ثمنها مباشرة، وتشير هذه الصحفية إلى أن الوجود الإيراني في أحياء دمشق ازداد كثافة وجرى العمل عليه بالتواطؤ من قبل سماسرة ومكاتب عقارية مرتبطة برجالات رامي مخلوف، وتوسع ذلك ليشمل بيوت السكن، وكثير من العائلات في دمشق القديمة كانت قد اضطرت خلال المدة السابقة إلى بيع عدد من ممتلكاتها للتغلب على الظروف الاقتصادية الصعبة، لكنه تبيَّن لهم فيما بعد أنهم قاموا ببيع ممتلكاتهم لعائلات إيرانية دون أن يكونوا على علم بذلك.

كيف تتم عملية البيع (الجانب الخفي من القضيَّة)

قامت القيادة السورية بتسليم مهمة الشراء لرامي مخلوف، وبات مخلوف هو السمسار الخفي وتجري مكافآته ماليا من إيران، ويرتبط برامي مخلوف رجال سوريون (من دمشق مع الأسف) تابعون لشبكة مرتبطة برجل من مكتب مخلوف، ويقوم أولئك الرجال بالشراء بأسمائهم من مكاتب عقارية في دمشق، ثم يقومون بتسليم العقود لرامي مخلوف الذي يقوم بنقل البيع لجهات مرتبطة بالحكومة الإيرانية (أفراد ومؤسسات) ويتداول الناس في دمشق أن عمليات البيع هذه قامت بها مكاتب عقارية عن غير علم وبعضهم عرف أن تلك العمليات ترتبط بصورة غير مباشرة برجل الأعمال ابن خال بشار رامي مخلوف، واستمر في البيع لرجاله عن علم بذلك، ويقوم المشترون السوريون الذين يعملون في شبكة مرتبطة برامي مخلوف بدفع مبالغ كبيرة أحياناً، بل تفوق القيمة الحقيقية للعقار المعروض للبيع إن كان العقار قريباً من الجامع الأموي والمرجة، ثم يجري تسليم العقار للمشترين الإيرانيين المرتبطين بالسياسيين الإيرانيين، وطالت عملية الاستحواذ المحال التجارية والشقق السكنية والفنادق والمطاعم والمحلات، وبعض السوريين يعملون لدى صاحب العقار الإيراني من غير أن يعرفوا ذلك، ولا سيما في المطاعم والفنادق والمحال التجارية، غير أن مدير العقار على علم بذلك.

يا شباب أعظم ثورة شعبية في التاريخ..

نبيل شبيب

يا شباب أعظم ثورة شعبية في التاريخ..

كلا.. لا أبالغ.. ولا أقول ذلك لأنها ثورة الشعب في سورية.. البلد الذي نشأت فيه وأحنّ إليه.. منذ رحيلي عنه قبل خمسين سنة.. لا أبالغ.. فلا توجد قبلكم ثورة في التاريخ بدأت سلمية.. شعبية.. أخلاقية.. وطنية.. تغييرية.. كما بدأت ثورتكم في سورية، ثورة شباب سورية وفتياتها قبل أربعة أعوام..

لا توجد ثورة بقي جيل الشباب يواجه خلالها شهورا عديدة.. نار الإجرام بالصدور، وفجور الإعلام بالصبر، وأكاذيب الطاغية بإبداع الإعلام الشعبي عبر التصوير من ميادين المواجهات.. ويواجه الاعتقالات بالصمود على طلب الحرية.. ويواجه التعذيب بالإصرار على حياة الكرامة أو نعمة الشهادة.. حتى إذا طفح الكيل وحملتم السلاح، سجلتم ملاحم بطولات وتضحيات غير مسبوقة هزت أركان الطغيان.. وعبيده، وزلزت الأرض من تحت أقدام أعوانه وأسياده، ممن يرسلون إليه السلاح والميليشيات، وممن يغضون الطرف عن جرائمه بانتظار أن يبلغ ما يريد.. ولن يبلغ ما يريد بإذن الله الواحد الأحد..

يا شباب أعظم ثورة شعبية في التاريخ..

أليس من عظمة الثورة أنها زلزلت الأرض تحت مشروع الهيمنة الإيراني، إذ كان يتحرك في المنطقة تحت عناوين الخداع، فكشفتم عن وجهه الهمجي، فبات أتباعه يتساقطون على أرضكم فيعلنوا بذلك جهارا نهارا أن "المقاومة" عندهم إجرام بحق الشعوب، وأن "الممانعة" في واقع مشروعهم توافق مع أعداء الشعوب؟..

أليس من عظمة هذه الثورة صمودكم أكثر من أربعة أعوام تساقطت خلالها الوعود الدولية الكاذبة، والتحركات الإقليمية التمويهية، فظهر جهارا نهارا، أنهم لا يريدون حرية الشعوب وسيادة إرادتها على أرضها وقرارها، بل يريدون استخدام الثورة لصنع استبداد آخر ينسجم معهم بديلا عن الاستبداد الذي فقد وظيفته فلم يعد يصلح لمتابعة علاقات التعاون معه كما كانت على امتداد خمسين سنة؟..

لهذا أصبحت ثورتكم ثورة على استبداد واحتلال وهيمنة رأجنبية في وقت واحد، فازدادت عظمتها بفضل صمودكم واستمراركم ، ولن تنتهي بإذن الله، إلا بتحقيق أهداف التحرر من العبودية بجميع أصنافها، والعدالة بأسمى أشكالها، والكرامة للفرد والوطن والأمة.. فما أعظم ما تصنعون بتضحياتكم وبطولاتكم وما أعظم هذا الشعب الذي يدفع الثمن بمعاناته ويأبى التراجع عن طريق العطاء حتى النصر.

يا شباب أعظم ثورة شعبية في التاريخ..

كيف لي إذن أن أخاطبكم، وكيف يقال لي ولأمثالي أن أقول لكم شيئا عن بعد.. مع حلول عام آخر على مسار الثورة..

أعترف لكم يا أحب بني آدم اليوم على قلوبنا.. أنكم أنتم من أعاد الأمل لأمثالنا ممن عاشوا خارج الوطن، وحُرموا لعقود عديدة من رؤيته ورؤية الأهل فيه.. أنتم من علمنا ما معنى كلمات نسيناها أو أغفلنا عنها طويلا.. ولا قيمة للحياة من دونها.. علمتمونا الحرية.. وأنها المطلب الغالي.. الذي يستحق ثورة.. وكم انتظرنا أو انتظر أكثرنا أن تأتي الحرية.. دون ثمن..

علمتمونا ما تعنيه الكرامة.. والتحدي.. والصمود.. والصبر.. والجهاد.. والإقدام.. والعزيمة..

علمتم العالم أن هذا الشعب الثائر قادر على أن يصنع النصر بنفسه..

علمتم العالم.. أن النصر الأعظم لسورية.. يتحقق عبر الثورة الأعظم في التاريخ.. مهما كان الثمن كبيراً.. بقدر شموخ النصر.. بل أنتم تصنعون بذلك النصر للإنسان في عالمنا وعصرنا.. وليس لسورية وأخواتها فقط..

فأنتم في أيامنا هذه أيها الثوار.. من استوعب قول الله عز وجل وعاش معناه يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام:

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله . . ألا إن نصر الله قريب﴾

ألا إن نصر الله قريب.. قريب.

رجال النظرية الرابعة

إياس غالب الرشيد

النظرية الأولى وفق هذا التصور هي الرأسمالية، والثانية هي الاشتراكية، أما النظرية العالمية الثالثة فهي النظرية الجماهيرية، سلطة الشعب والديمقراطية المباشرة؛ التي وضعها العقيد معمر القذافي، وقد كانت مستوحاة من الاشتراكية والقومية العربية الإسلامية، وجزئيا من مبادئ الديمقراطية المباشرة. إنها تشبه نظام الإدارة الذاتية اليوغوسلافية(قبل تفككها)، وقد اقتُرحت بوصفها بديلا للرأسمالية والشيوعية لبلدان العالم الثالث، و قد تم إنشاء المجلس الأعلى للتوجيه الوطني لنشر وتطبيق هذه النظرية ؛ التي لم تنفذ في الواقع، واستعاض عنها القذافي برقصات الشامبانزي السياسية، واحتفظ بالسلطة المطلقة .دائما كنت أكره كلمة النظرية؛ لأنها تذكرني بضعفي في مادة الرياضيات، ولأنها تحتكر الحقيقة، وتجعل الناس قطيعا يسير خلف رأي وضعيٍّ، اخترعه بشر محكوم بظروف اقتصادية واجتماعية وفيزيائية . حتى كتابة هذا المقال توجد ثلاث نظريات ، لها بناؤها الفلسفي العميق ،وأنا هنا لا أخترع النظرية الرابعة؛ لأنني أكره النظريات ،بل أشير إليها موضحا حدودها وآليات تفكير شخوصها ، وأفضل حالات التعبير عنها ، ومن هم ضحاياها .في ليل بهيم غير واضح الحدود، يطرق بابك تائه الأفكار هارب من ازدحام سكاني في منزله ،فيقول: يسقط المجلس الوطني.. تسقط الهيئة العامة للثورة السورية .. يسقط اتحاد التنسيقيات .. يسقط الإخوان المسلمون... تسقط المعارضة الخارجية ... وحين تدخل معه في حوار يستطيل بأن يغادرك متحفظا عن شتمك وعيناه تقولان: تسقط أنت أيضا . !!! صاحبك هذا صاحب نظرية الإسقاط، يتذرع بأن هذه الهيئات لم تفعل شيئا للشعب وللثورة، فيشرع في شرح وجهة نظره، لقد كان يجب عليهم أن يجهزوا مشافي ميدانية، ويشتروا سلاحا وذخيرة وأجهزة اتصال متطورة، ويطالبوا (بالنيتو) وبالمنطقة العازلة ، ويهتفوا كذا، ويسيروا في الشارع الفلاني ، وكأنه يظن الثورة لعبة (بلاي ستيشن). وينتقل هذا الرجل بين هذه الأفكار، وهو متكئ على جنبه الأيمن، وعندما يبدأ الخدر يتسرب إليه سرعان ما ينتقل إلى الجانب الأيسر، ويشترط عليك ملعقة سكر واحدة؛ لأنه لا يريد أن يصاب بهذا المرض الذي لم يُروض بعد، ويؤكد على الابتعاد عن مشاهدة الصورة المروعة والقاسية لضحايا الثورة السورية؛ لأنها ترفع الضغط ،وفي هذه الأثناء يصرخ في وجهك بنصيحة متكررة عن أضرار التدخين، وكيف أنه يشعر بالرشاقة والاستمتاع بالحياة والإشراق في النفس. مدعماً كلامه برأي بعض الشيوخ والأطباء، الذين أثبتوا أن من يدخن يخسر ثلث عمره الافتراضي .. يسترسل صاحبك هذا في حديثه الذي يتمحور حول اللذة والذات وإيجاد آليات للخلود والاستمرار، ثم يعود هذا الصاحب للانقضاض على تفاصيل الثورة ..ناهشاً هذه المرة الثوار، تحت مقولة هؤلاء صغار مراهقون، لا يعرفون شيئا، ولا بد من توجيههم . صاحبك هذا أسقط كل شيء؛ تاركا المستقبل معلقا في رذاذ لعابه الذي ينطلق باتجاه وجهك دون رحمة، وهو يصرخ مطالبا حتى بإسقاط فطيم الخليل . وإذا حاولت الانقضاض عليه بسؤال مباغت ؛ طيب ما الحل؟ ينسحب على طريقة مشايخ الصوفية، معلقا الأمر على قوة خفية ستتدخل لحل هذا الاستعصاء؛ كون الشام محمية بالملائكة والأربعين ولياً ،الذين سيتدخلون في الوقت المناسب لحمايتنا من الهلاك، هذه هي النظرية الرابعة نظرية إسقاط كل شيء، والتأسيس لحالة عدمية، تنتج فوضى، تؤسس لنظرية الثرثرة التي لا تنتج شيئا. صاحبك هذا الذي جاء في الليل البهيم كان يعلق صورة حسن نصر الله في صالته التي أسرف في تجميلها، ولو حاولت مجرد الغمز حول دور هذا الرجل وحزبه المشبوه لحل بك ما حل بلص هارب في طريق مسدود ...صاحبك هذا صاحب هذه الليلة اللعينة تكهن بعد سقوط حسني مبارك بأن بشار الأسد سيصبح جمال عبد الناصر بطل القومية العربية الجديد .. صاحبك هذا فيه كثير من الشروخ؛ التي تجعله ينتمي إلى حالة يجب التخلص منها ،وهو متكئ الآن على كل جنوبه، ويريد التخلص من كل شيء ،ويبقى هو مع بقايا أفكاره البعثية، والتي لا يستطيع الانفصال عنها، يمارس النظرية الرابعة، يطرق الباب ليلا، ممسكا بمسكين آخر، يسلم؛ فيدخل فيتكئ على جنب ،ثم جنب، يتحفظ على عدد ملاعق السكر، ويلعن التدخين وينتقد الثوار ويلعن المجلس والوطني والتنسيقيات ويشتم الإخوان المسلمين والجيش الحر، صاحبك هذا هو ونظريته الرابعة و رذاذ لعابه الذي لا يرحم أصبح جزءا من مشاكل السوريين، التي لا بد من النظر فيها بعمق، خصوصا أن ليل الشتاء بهيم وموحش، وهو يعاني من انفجار سكاني في منزله يحرمه من ممارسة نظريته الرابعة؛ فيأتي كل يوم ليشرح لك اللاشيء.

سيدنا والربيع العبري!!

كلبٌ من كلاب النظام يسمّي الربيع العربيَّ بالربيع العبري، مُدَّعياً أن ذلك الربيع كان خدمة مجانية لإسرائيل، وأنه ما نشأ إلا إضعافاً للجيوش العربية، وهنا نسأل أين هي الجيوش العربية التي لم نشهد لها معركة كرامة واحدة على امتداد الوطن العربي والتي نعرف أنها لم تستعرض عضلاتها سوى في وجه شعوبها المقهورة؟!. إنه لَمِنْ أعجبِ العجبِ أن ترى ذلك القائل ملتحياً بلحية هي أقرب إلى الكفر من النفاق، ومُعَمَّماً بعَمامةٍ بيضاء لفَّها حول رأسه حتى غدَتْ في حجمها كاللحاف، فأثقلت رأسَه لتعيد إليه شيئاً من الهيبة المفقودة المقَنَّعةِ التي راحَتْ تستلبُ عيون المغفَّلين من الناظرين إليه من ضعاف القلوب من أتباعه الماشيةِ خلفَه، تراه يقودهم إلى غضب الله عليهم، إذ تستباح الحرمات والدماء والبلاد بيدٍ حاكمٍ طاغيةٍ ما زالوا يَدْعُون له ويشهدون له زوراً بالإيمان، وإنَّ أسوأ ما صنعَتْه هذه الأنظمة الحاكمة خلال سنواتها الطويلة هو استلابُ رجال الدين وشراء ذممهم الفاسدة بالإطراء أو المناصب أو التكريم الأجوف، وتقديم السفهاء منهم على العلماء الربانيين الذين يعرفهم القاصي والداني من المسْتَخْفِينَ عن الناس تواضعاً وتقرباً إلى الله لا يتقدَّمون المجالسَ إلا إذا قدَّمهم النَّاس، وإنَّك لو رحْتَ تبحث في خفايا تواريخ أولئك المنافقين من الشيوخ لوجدْتَ فيها من قوادح المروءة وقوادح الدِّين ما كان كافياً ليجعلهم يَسْتَتِرونَ عن الناس حياءً بدلاً من الظهور على الملأ بنفاقهم وكذبهم، حتى إنهم عاشوا على عَرَقِ أتباعهم وأَكَلُوا حقوقَهم بالباطل، وبات الشعب السوري المتَدَيِّنُ في غالبيته بعضٌ منه مجبورٌ على أن يعطي الضابط الجزيةَ أو المالَ قهراً، في حين بات بعضهم الآخر يعطيه لشيخه حياءً، فلا الضابط من أهل النخوة، ولا الشيخ من أهل العفّة، وصارت أموالُ البسطاءِ يَنْتَهِبُها الضباطُ والمسؤولون في الدَّولة بسيفِ القهرِ والجَبْرِ، في حين يأخذُها الشُّيوخ بسيفِ الحياءِ تحت شعار (معليش هذا سيدنا!!)،

والجامع بين الطرفين: الشيخ والضابط هو كلمة (سيدنا)!!. أَلَا لعنةُ الله على هكذا سيادة، وكأن أولئك الشيوخ لا يعلمونَ أنَّ ما أُخِذَ بسيف الحياء حرامٌ بنصّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، مَثَلُه مَثَلُ الغصْبِ، كذلك يبقى الشعب الغافلُ مطيَّةً حاكمٍ يظلمُه ويقهره، أو شيخ لا يعرف اللهَ يستحلُّ مالَه وعَرَقَ جبينِهِ، والشَّواهدُ على ذلك غير خافية، حتى إنَّ أحدَ شباب البلدة كان في نهاية التسعينات قد بذلَ عرقَ جبينِهِ في بلاط بيت سيّده الشّيخ، كذلك بذل شابٌ آخر لسيّده الشّيخ المطارفَ والحشايا، سبحان الله !! مَنْ أَمَرَكُم أن تفعلوا بأنفسكم هذا؟!! إنَّ الذي يأكل أموال الناس وعَرَقَ جبينِهم بالباطل بحجَّة أنه شيخٌ يقرأ القرآن ليس له من الدِّينِ شيء، وما بقي بين لِحْيَةِ الشَّيخ في وجهه ونَجْمَة الضَّابط فوق كتفيه مِنْ فَرْقٍ في اللصوصيَّة سوى ما ذكرناه من أنَّ الأوَّلَ غاصبٌ بالقهر، والثاني غاصبٌ بالحياء والتخجيل.

نعم الربيع العربي صار عند ذلك المتمشيخ الفاتي، لا الشيخ المفتي، صار ربيعا عبريا، والدليل على ذلك أنه أضعف الجيوش العربية وكان ذلك خدمة لإسرائيل!! مسكينةٌ فلسطين التي تاجرَتْ بها كلُّ مواخير السياسة العربية ومشايخ السلاطين العربية!! حتى كلما اجتمع عاهران تناقشا في العلاقات الأخوية بين البلدين ومستجدات القضية الفلسطينية، لكننا لكي نشبع رغبة ذلك المتمشيخ فإننا سنقول له: أيّ معركة شرف خاضها الجيش السوري سوى معارك التهريب من لبنان إلى سورية في الثمانينات؟! وأيّ معركة خاضها ذلك الجيش سوى معركة حماية تجارة الحشيش اللبناني في الثمانينات والتسعينات حتى غدت سورية دولة عبور لهذا الوباء إلى كثير من دول المنطقة؟! إن الشعب السوري يعرف أن الجيش العربي السوري لم يخض معركة شرف واحدة منذ أن تسلط عليه الضباط الانقلابيون الذين لم يكونوا يحسنون من السياسة سوى سياسة محاصرة الشعب

وقهره، وبناء السجون للشعب، أما بشأن هزيمة حرب تشرين التي يزعمون أنها انتصار فنسأل: هل الجيش السوري الذي وصل إلى مياه طبرية وشرب بعض جنوده منها ثم رجعوا القهقرى بأوامر عسكرية من حافظ الأسد لأجل إتمام صفقة بين حافظ الأسد وإسرائيل هو جيش وطني؟! وهل عقود المتعة الأسدية الإسرائيلية طوال كل هذه السنوات الأربعين كانت بمنزلة كفاح عسكري مسلّح ضد العدو الصهيوني بعد كل هذه السنوات من هدوء الساحة المريب وزنا سِفَاح السرّ الذي صار عَلَنِيّا!! إن الشعب السوري الذي بات يشاهد الموت من حوله في كل يوم، بات يدرك أنه لا مناص من أن يسعى إلى الموت بنفسه، لا من أجل الموت في ذاته، وإنما من أجل أن الحياة الكريمة، وإن بشار الأسد الذي جعل في كل بيت فجيعة لن يستطيع أن يبقى حاكماً لهذا الشعب ولو فني الشعب كله، وهذا لا يكون إلا أن تقوم الساعة، وبقي احتمال واحد أن يذهب الطاغية إلى الجحيم ويبقى الشعب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي مسيرة هذه الحياة البائسة لم يعد أمام السوريين سوى خيار واحد هم يعرفونه، وإن الاستمرار في التردد من بعض الفئات أو الصمت من فئات أخرى يعني المزيد من الدمار والمزيد من القتل، والعودة إلى ما قبل آذار ٢٠١١ أمر بات مستحيلاً لكلا الطرفين، ومن ناقش في احتمال حدوث ذلك يكون من الحماقة بمكان، إذ إن الشعب الذي خسر كل شيء من أجل كرامته ليس مستعداً لإضافة كرامته إلى جملة الخسائر الأخرى، وهذا شعب لن تحكمه عصابة بشار ولا جماعة الاعتلاف اللصوصي من المعارضة (بالصاد لا الضاد)، ونعلم أنه في القواعد العسكرية يصبح الانتصار في هذه الحرب للفئة التي أضحت تعتقد أنه لم يعد هنالك شيء آخر لتخسره ولذلك تصرُّ على أن تمضي في الطريق إلى النهاية، إن الشباب الذين ما عاد يدخل إلى قلوبهم الرعب من صوت الرصاص، ولم يعد أحد من هذا الشعب المضطهد المسكين يهتم للطريقة التي سيموت بها، لأن الموت بات مشهدا يوميا مألوفاً وراحة ربانية، وهذا المشهد هو الذي سوف يبعث على انتصار هذه الثورة، فإمَّا حياةٌ تسرُّ الصَّديق، وإمَّا مماتٌ يغيظ العِدَا.

قريباً من الديار

"تركنا زملكا منذ ٣ أعوام، المنزل اليوم مدمر هكذا علمنا من بعض جيراننا هناك، لن أطيل بالحديث لكنني وزوجتي تعبنا سنواتٍ حتى كانت الثمرة هذا المنزل الذي عشنا فيه سنواتٍ عشر أو يزيد، فيه الذكريات وفيه المحبة، ولأن طبيعة عملي قريباً من مشفى الحياة، دائماً أحاول أن أقطع الرصيف لعل "السرفيس" يقلني إلى منزلي، لعل الأحوال تتغير، لا ألبث أن أكفكف الدمعة في الطريق، وأرجع إلى الواقع المؤلم".

فيما يتحدث أهل داريا عن تمزق قلوبهم لرؤية صور مدينتهم مدمرة كل هذا الدمار، أذكر أني عشت فيها زمناً في طفولتي، ومع قليلٍ من الذكريات إلا أنها تكفي لتهيج الأشجان في داخل أفئدتنا.

يقول "حسان": "تجاوز السرفيس جديدة عرطوز إلى دمشق من منطقة السومرية وما إن اقتربت من داريا من بعيد حتى فتحت النافذة، مدينة داريا قد باتت تطل بأبنيتها المترامية على أطرافها وكتل الدخان المتصاعدة التي بدأت تشكل غيمة رمادية كبيرة فوقها .وكدت أخرج رأسي، شيء ما بداخلي أمرني بالتلويح لولا الخوف من نظرات الناس، كنت كالعادة في آخر السرفيس، وإلى جواري عجوزٌ في الستين من عمرها، وجنتاها الممتلئتان تكادان تخفيان بعض التجاعيد العميقة تلبس ثوباً أسود وتلف رأسها بغطاء أبيض على طريقة نساء داريا، ذكرتني هي الأخرى وأصدقائي الذين تركتهم هناك، ذكرتني بنسوة المدينة، ما لبثت أن قالت: أنت من سكان داريا خالة؟ رح نرجع أكيد لا تخاف، ثم بكت ولم تكمل الكلام، وأخذت تتنهد بصوت يرتفع ويرتفع كلما اقتربنا من داريا حتى أذا ابتعدت داريا واختفت خلف أبنية المزة العالية،،سقطت من يدها المسبحة الزرقاء على أرض السرفيس تنتظر يدها مجدداً وبقيت هي ساهمة الطرف".

البعض يروي عن شوقه لداره قصصاً أكثر غرابةً، وشوق الدمشقيين لعودة الشام كما كانت يزداد مع الأيام، كما أن الأحاديث التي تتردد اليوم عن ذكرياتهم في مروج الغوطة الشرقية، فيكف بسكانها الذي هجروها.

هو الشوق والحنين حالةٌ يعبر الناس عنها في دمشق بالدموع على أطلال بقيت من ذكرياتهم، البعض يسال هل يسعني القدر في العودة لمنزلي؟

حتى لا يعطش السوريون
لا تجعلوا الماء... ساحة للقتال

ل.ن

مع زيارته الربيعية هذه الأيام، شيء من الراحة بعد شح في المياه، عايشه السوريون منذ أشهر قليلة، على أمل أن تسهم عودة (بردى)، بتحسن الوضع المائي عموما، مع ذوبان الثلوج، وارتفاع مستوى الأنهار عموما، وإن تجاوز العطش، الماء أحيانا، لكل ما هو غال، فالكل عطشى لحياة بلا وداع، بعيدا عن أصوات الرصاص وصرخات الثكالى، لكل ما هو جميل وناصع وحي، كالماء تماما جوهر الحياة ومنبعها.

تعتبر سورية كما جاء في موقع جمعية حماية البيئة والتنمية المستدامة الالكتروني، بلداً جافاً وشبه جاف يتصف بندرة موارده المائية عموماً، وبعدم تجانس توزعها السكاني، وبالتالي بعدم انسجامها مع التوزع الإقليمي للسكان، مما يعرّض الموارد المائية لضغوطات كبيرة كمية ونوعية، وقد زاد في حدة هذه الضغوطات تزايد معدلات النمو السكاني، والتطور الاقتصادي والاجتماعي السريع الذي شهدته سورية في العقود الأخيرة، وما رافقه من أنشطة بشرية أدت إلى الكثير من التغيّرات في استعمالات الأراضي، الأمر الذي نجم عنه زيادة الطلب على الماء بحدود فاقت في بعض الأماكن حجم الموارد المتاحة مما أدى إلى ظهور نقص في إمدادات المياه.

وقد نجم عن استنزاف الموارد المائية آثار عديدة أهمها تدهور كمي لعديد من الأنهار إلى درجة جفاف بعضها موسمياً مثل: بردى، الخابور، الأعوج ومعظم الأنهار الساحلية وغيرها. وتحوّلت أسرّة بعض الأنهار إلى مصارف للمخلفات السائلة والصلبة والصرف الصحي مثال ذلك ما جرى في طرطوس حيث يوجد (٣٥٠) مصب صرف صحي تجري في السواقي والوديان والأنهار.

ولا يخفى على أحد تلوث مياه نهر بردى بمياه الصرف الصحي، كذلك يتعرض نهر الفرات إلى تلوث مباشر بسبب صبيب مياه الصرف الصحي لمدن الرقة والبوكمال ودير الزور في مياهه دون معالجة، أيضا التلوث بالنيترات في بعض آبار ريف دمشق حيث أصبحت تراكيزها أعلى من المسموح به لمياه الشرب، مما أدى في عام ٢٠٠٥ إلى وقف استثمار أكثر من (٢٠٠) بئر للشرب في مناطق متعددة من الغوطة.

وكان لمياه الصرف الصناعي دور في تلوث وتدهور مياه الحبس السفلي من نهر بردى ونهر قويق نتيجة صرف مياه الدباغات بدون معالجة، وتعتبر مخلفات معاصر الزيتون السبب الرئيسي لتلوث الأنهار والمياه الجوفية في حوض الساحل، حيث يظهر التلوث أثناء موسم عصر الزيتون.

خلال السنوات الماضية، لم يطرأ تحسن ملحوظ على كل ما سبق، لكن للأسف معظم الفصائل المقاتلة حاولت السيطرة على منابع المياه والأنهار، لفرض سيطرتها وإثبات وجودها، وإن كان البعض يرى في ذلك جزءا من الحرب القائمة، فهذا لا يعني خنق الناس وقتلهم عطشاً، وعلى العكس، الحفاظ على الماء والكهرباء وغيره مما يضمن حياة كريمة للمواطن السوري، هو جوهر كرامته وحياته، وهو ما يجب أن يحرص الجميع على تحييده، وهنا نستحضر محاولات داعش الكثيرة للسيطرة على نهر الفرات، وهي كارثة حقيقية، نأمل أن لا تستمر طويلاً.

كاريكاتير العدد